جامعة الطائف
TAIF UNIVERSITY

مقرر تاريخ المملكة

الوحدة الأولى

مُعد ومنسق المقرر

د. مترك السبيعي

الوحدة الأولى

الدرس الأول: أوضاع الجزيرة العربية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى

كان من أهم الأحداث التي أثرت في مجريات الأحداث في المشرق العربي بصفة عامة وفي الجزيرة العربية على وجه الخصوص انتصار العثمانيين على المماليك في معركة الريدانية سنة 923هـ/1517م واستيلائهم على مصر، وبذلك بسط العثمانيون نفوذهم على معظم البلدان العربية ما يزيد على أربعة قرون، ومن ذلك أجزاء مهمة من جزيرة العرب والتي دخلت فيما بعد تحت الحكم السعودي حيث كان لهذه الأرض المباركة مكانتها الخاصة التي لا يضاهيها مكانة كونها قلب الجزيرة العربية، وفيها بيت الله الحرام ومهبط الرسالة، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إضافة إلى المكانة الاقتصادية المتميزة والتي كان لها دور كبير بعد قيام الدولة السعودية يضاهي الدول المتقدمة.

وتكونت هذه البلاد قبل قيام الحكم السعودي من عدة مناطق لكل منها ظروفه السياسية وإن تشابهت في بعض الأوضاع الأخرى، وهي على النوحي الآتي:

أولاً: منطقة الحجاز/

يقصد بالحجاز مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة والطائف، وخضعت لحكم الأشراف منذ مستهل القرن الرابع الهجري حيث استطاع محمد الحسني سنة 301هـ انتزاع ولاية مكة من الدولة العباسية، وقد توالت على حكم مكة بعده أربع طبقات من الأشراف هم: الموسويون، والسليمانيون، والهواشم، وبنو قتادة (الأشراف العلويين) الذين أسس حكمهم زعيمهم قتادة بن

إدريس سنة 597هـ واستمروا بها حتى دخل الملك عبد العزيز رحمه الله الحجاز سنة 1343هـ ، وكانوا يدينون للدولة الإسلامية الكبرى مثل الدولة الأيوبية، ثم بعد ذلك المماليك، وبعد زوال دولة المماليك على يد العثمانيين سنة 923هـ أعلن الأشراف ولاءهم للعثمانيين حيث أوفد شريف مكة بركات الثاني أبنه أبا نمي إلى السلطان العثماني سليم الأول في مصر معلناً ولاءه له، وبذلك أصبح الحجاز تحت نفوذ العثمانيين من الناحية الرسمية، إلا أن تعيين شرافة الحجاز يؤدي إلى النزاعات والصراعات الداخلية بين الأشراف على السلطة الأمر الذي أدى إلى معاناة في النواحي الأمنية، وتدخل بعض الأسر والقبائل لصالح شريف على الآخر، وكان الأبرياء من السكان والحجاج يعانون أشد المعاناة جراء ذلك الصراع على الشرافة، حيث انعدم الأمن في أحيانا كثيرة وتعرض الحجاج للنهب والسلب.

أما من الناحية الدينية فكان لوجود الحرمين الشريفين في الحجاز أثر بالغ في ازدهار الحياة العلمية، خاصة مع مجاورة بعض العلماء المشهورين من مختلف البلدان الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة فانتفع بهم عدد من طلاب العلم، إلا أن ذلك لم يمنع انتشار البدع والخرافات والجهل بأمور الدين خاصة بين قبائل البادية بالحجاز، فشاعت بينهم كثير من الشركيات، ومن ذلك ففي مكة أن كثيراً من الجهال كانوا يأتون قبر ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها، وقبر خديجة رضي الله عنها، فيدعونهما من دون الله ويستغيثون بهما، ويذبحون عندهما القُربات، وكذلك كانوا يفعلون عند قبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه بالطائف فكان يقف المكروب والخائف مستغيثاً بقبر عبد الله بن عباس، وفي المدينة كانوا يقفون عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ويتوسلون به ويدعونه ويستغيثون بقبره، وكذلك في جدة كان هنالك قبر يزعمون أنه قبر حواء وعنده سدنة يأخذون الأموال من الزوّار، وغيرها من البدعيات والشركيات المنتشرة.

وفيما يتعلق بالأحوال الاقتصادية فقد كان نشاط السكان الاقتصادي متنوعاً، فالبادية بصفة عامة تمتهن الرعي وتعتمد على الحيوانات ومنتجاتها، وسكان الواحات عملوا بالزراعة

وتربية بعض المواشي، أما سكان المدن فقد تركزت مهنهم على أنواع التجارة وبعض الصناعات والحرف المختلفة.

ثانياً: جنوب غربي البلاد/

ويتكون من عسير والمخلاف السليماني (جازان) ونجران، ففي جهات عسير كانت المناطق الجبلية تحت حكم زعماء القبائل المحلية، أما تهامة فكانت تحت حكم الأشراف وذلك يعود لسهولة الحركة في المناطق الساحلية.

ومن أبرز مقومات الحياة الاقتصادية في عسير الثروة الحيوانية والزراعية، وكذلك وجد نشاط للسكان بالثروة السمكية التي أتاحت وصول السكان إلى ساحل البحر الأحمر.

وفيما يتعلق بالجانب الديني فلبعد عسير نسبياً عن مركز الحركة العلمية في الحجاز واليمن لم يبرز هنالك علماء كما هو الحال بالنسبة لتلك المناطق، وبذلك لم تكن الأوضاع الدينية أفضل حالاً من بقية مناطق البلاد من انتشار للبدع وبعض المخالفات الشرعية والعقدية.

أما منطقة (المخلاف السليماني) والتي تشمل جازان وأبي عريش وصبيا وما جاورها فشهدت نوعاً من الوحدة السياسية زمن سليمان الحكمي الذي نسبة إليه بداية القرن الرابع الهجري إلا أنه ما لبث أن فقد إمارته قبيل نهاية القرن نفسه على يد الحسين بن سلامة فأصبحت المخلاف عبارة عن إدارات صغيرة يحكمها الأشراف وتتبع لإمام اليمن حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري حيث سيطر عليها الشريف أحمد بن محمد آل خيرات وظلت أسرته متولية للزعامة حتى دخوله تحت حكم الدولة السعودية الأولى زمن الشريف حمود بن خيرات الملقب بأبي مسمار.

وكانت الحياة الاقتصادية مشابهة بدرجة كبيرة للحياة الاقتصادية في عسير خاصة في تهامة، أما الحياة العلمية فكانت أقوى بالمخلاف منها في عسير، ورغم ذلك كان هنالك انتشار للبدع والخرافات كما هي في مناطق أخرى من العالم الإسلامي.

أما منطقة نجران فخضعت للقرامطة الذين وصلوا لها في أواخر القرن الثالث الهجري، ومن ثم المكارمة الإسماعيلية بعد ذلك، وفي العصر الحديث دخلت تحت طاعة الدولة السعودية الأولى، وكانت مصادر دخلها تعتمد على النشاط الزراعي والثروة الحيوانية، أما أوضاعها الدينية فكانت سيئة بسبب انتشار البدع، والخرافات، والمنكرات، ولجهل العامة بالدين الاسلامي الصحيح في ظل اعتناق الكثيرين المذهب الشيعي.

ثالثاً: شرقي البلاد (المنطقة الشرقية) /

وكانت تسمى قديماً بهجر أو البحرين وتشمل الاحساء والقطيف وما جاورها وفي بداية القرن الرابع الهجري كانت المنطقة تحت سيطرة القرامطة ومذهبهم الشيعي الباطني إلا أن دولة العيونيون استطاعت القضاء عليهم سنة 466هـ، وأسس عبد الله بن علي العيوني الدولة العيونية التي استمرت حتى منتصف القرن الثامن الهجري حيث تلتها دويلات حتى خضع شرقي البلاد للحكم العثماني سنة 957هـ/1550م وبقي حتى أزاله زعماء بنو خالد سنة 1080هـ وظلوا يحكمون شرقي البلاد حتى دخوله تحت حكم الدولة السعودية الأولى.

وفيما يتعلق بالحياة الاقتصادية بالمنطقة الشرقية فكان لانتشار العيون ووفرة المياه والقرب من ساحل الخليج العربي دور كبير في الرخاء الاقتصادي فوجدت فرص متميزة للعمل بالزراعة وتربية الماشية وصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ وغيرها.

أما من الناحية الدينية فقد انتشر المذهب الشيعي الجعفري جنباً إلى جنب مع المذهب السني، وغلب على قبائل البادية خاصة الجهل في أمور الدين، وانتشار لبعض البدع والخرافات.

رابعاً: منطقة نجد /

تسمى نجد قديماً اليمامة، وقد قامت بها سنة 253هـ الدولة الأخيضرية، واستمرت قرابة 200 سنة، وبعد زوال حكمهم اصبحت نجد مفككة من الناحية السياسية عدا حكم بعض الأسر حيث كان لكل بلدة إمامة وزعامة مستقلة تولد عنها العلاقات العدائية بينها مما جعل هذا التفكك السياسي هدفاً للقوى الكبيرة كالأشراف في الحجاز وبنو خالد في شرقي البلاد، ومن أهم تلك الإمارات في نجد إمارة آل معمر في العيينة، وإمارة آل سعود في الدرعية، وإمارة دهام بن دواس في الرياض، وإمارة زيد بن زامل في الخرج.

وفي الناحية الاقتصادية كانت نجدا أعظم المناطق الرعوية بالجزيرة العربية، فكثرت تربية الأغنام والأبل، إلا أن الإنتاج الزراعي لم يكن يكفي حاجة السكان عكس الثروة الحيوانية، وذاك مما دافع عدداً من السكان لمزاولة التجارة، إلا أن إنعدام الأمن كثيراً نتيجة التفكك السياسي عرَض النشاط الاقتصادي للكثير من الخطر.

أما من الناحية الدينية فقد انتشرت بين سكان نجد الكثير من الأمور الشركية والبدع والخرافات والجهل بأمور الدين والعقيدة، وانتشر بين كثير من باديتها الجهل بأمور الدين وعدم القيام بواجباته الأساسية كما كثر بناء القباب على القبور كالقبة المقامة حول قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك التوسل بالصالحين وبالأشجار والأحجار، وهكذا يتبين لنا أن منطقة نجد بصفة خاصة دون عن البلاد الأخرى بصفة عامة قبل قيام الدولة السعودية الأولى في أمس الحاجة إلى دعوة وإصلاح ديني توضح للجهال ما يخل بعقائدهم وتبين لهم ما خفي عليهم من شريعة الله، وذلك لا يلغي وجود بعض العلماء والدعاة إلا أن دورهم كان ضئيلاً, كما تبين لنا أيضاً أن منطقة نجد بالذات في حاجة إلى حركة سياسية توحد بلدانها وقبائلها تحت راية واحدة.

وقد هيأ الله للبلاد ما كانت في حاجة إليه فقام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة إصلاحية، وقامت الدولة السعودية الأولى وناصرت تلك الدعوة كما سنعرفه لاحقاً.